SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.25 NO. 1 2026
DOI: 10.51984/D0Y8S040

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في بلاد السودان الأوسط 1895- 1920م على ضوء فلسفة التاريخ

محمد صالح يونس ضواي

قسم الفلسفة وعلم الاجتماع، كلية التربية، جامعة سبها، أنجمينا-تشاد. قسم التاريخ، كلية الشارقة للعلوم التربوية، جامعة الملك فيصل بتشاد، أنجمينا-تشاد.

الملخص

تُلقي هذه الدراسة، الضوء على المقاومة الوطنية في بلاد السودان الأوسط للاحتلال الفرنسي من منظور فلسفة التاريخ، وذلك باستعراض آراء بعض مدارس فلسفة التاريخ حول الدورة التاريخية، وهي دورة الانحدار الحضاري التي مر بها مجتمع بلاد السودان الأوسط أيام الاحتلال الفرنسي، دورة التجزئة السياسية في داخل الكيانات الحاكمة للسلطنات آنذاك. إن مدارس فلسفة التاريخ التي نتكأ عليها في هذه الدراسة، بقدر ما تمدنا بآرائها في فهم تلك الأحداث والوقائع التاريخية، فهي أيضا تفيدنا في بناء فكرة عن أسباب ضعف المقاومة وتغلب المحتلين عليها. ويهدف هذا البحث إلى إجراء دراسة تطبيقية علمية لفلسفة التاريخ والحضارة على المقامة الوطنية في بلاد السودان الأوسط، لتحقيق فهم شامل وكلي وعميق للاحتلال الفرنسي. وقد استعانت هذه الدراسة بالمنهج التاريخي الوصفي والمنهج التاريخي المقارن، لتوصيف تحركات المحتل الفرنسي إلى السودان الأوسط ومحاور المقاومة، كما عمدت الدراسة إلى استعراض موجز لآراء مدارس فلسفة التاريخ وإسقاطها على واقع المجتمع آنذاك، ومقارنتها فيما بينها للخروج بقاعدة أكثر شمولية يمكن أن نفسر من خلالها منحنى الانحدار السياسي والاجتماعي لمجتمع بلاد السودان الأوسط إبّان الاحتلال الفرنسي. ومن هنا؛ تأتي أهمية فلسفة التاريخ، لتطبيقها على هذه الدورة المهمة من تاريخ بلاد السودان الأوسط، مرحلة زحف الاحتلال الفرنسي والمقاومة التي وقفت في وجهه. ويهدف هذا البحث إلى إجراء دراسة تطبيقية علمية لفلسفة التاريخ والحضارة على المقامة الوطنية، لتحقيق فهم شامل للتاريخ، من خلال محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات: متى وكيف بدأت المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في بلاد السودان الأوسط؟ كيف يُنظر للمقاومة الوطنية في ضوء فلسفة التاريخ؟ هل يمكن توظيف نظريات فلسفة التاريخ المختلفة على طبيعة هذه المقاومة، أو لا؟ كل ذلك يمكن مناقشته في هذه الدراسة، والتي تعالج موضوع المقاومة الوطنية، نظريات فلسفة التاريخ، توظيف هذه النظريات.

الكلمات المفتاحية:

الاحتلال
التاريخ.
الفلسفة
المقاومة
بلاد السودان الأوسط

National resistance to the French occupation in Central Sudan 1895-1920 AD in light of the philosophy of history

Mahamat Saleh Younous Dawaye

Department of Philosophy and Sociology, Faculty of Education, University of Sebha, N'Djamena, Chad.

ABSTRACT

This study sheds light on the Chadian national resistance to the French occupation from the perspective of the philosophy of history. It reviews the views of some schools of historical philosophy on the historical cycle: the cycle of civilizational decline experienced by Chadian society during the French occupation, and the cycle of political fragmentation within the ruling entities of the Chadian sultanates at the time. The schools of historical philosophy, which we draw upon in this study, not only provide insights into these historical events and facts, but also help us develop an understanding of the reasons for the weakness of the resistance and its defeat by the occupiers. This research aims to conduct a scientific applied study of the philosophy of history and civilization on the Chadian national resistance, to achieve a comprehensive, holistic, and in-depth understanding of the French occupation of Chad. This study employs the historical, descriptive, and comparative method to describe the movements of the French occupier into Chad. It also briefly reviews the views

Keywords

Occupation
History
Philosophy
Resistance
Central Sudan

*Corresponding author:
E-mail addresses: mhdsalehdawai@gmail.com

Article History : Received 02 August 2025 - Received in revised form 19 January 2026 - Accepted 05 February 2026

of the schools of historical philosophy, applying them to the reality of Chadian society at the time, and comparing them to form a more comprehensive basis through which to explain the trajectory of political and social decline in Chadian society during the French occupation. Hence, The importance of the philosophy of history lies in its application to this important phase of Chad's history, the stage of the French occupation and the resistance that stood up to it. This research aims to conduct a scientific applied study of the philosophy of history and civilization on the Chadian national resistance, to achieve a comprehensive, holistic and in-depth understanding of the French occupation of Chad, by attempting to answer these questions: When and how did the Chadian national resistance begin? How is the Chadian national resistance viewed in light of the philosophy of history? Can the various theories of the philosophy of history be employed on the nature of the resistance, or not? All of this can be discussed in this study, which addresses the topic of national resistance, theories of the philosophy of history, and the employment of these theories.

1. مقدمة.

ينطلق مفهوم المقاومة من الفعل قاوم، الذي يفيد المصارعة والمعارضة والمغالبة، لتغيير فساد واقع على الناس أو على المكتسبات الحضارية أو الهوية التي تشكلت عبر سنين. وبهذا؛ فالمقاومة هي الوقوف في وجه العدو المحتل للحيلولة دون تمدده العسكري، الفكري، الثقافي والسياسي. واحتلال أي شعب من شعب آخر، دورة طبيعية من دورات التاريخ التي تموج بالتغيرات المختلفة في نمط الحياة التي تتأثر بالمنعطفات التاريخية الكبرى، كحالات الصراع والحوار والحروب والتحالفات وما ينتج عنها من غزو وسلب واحتلال. ومن هنا؛ تنبع مشكلة الدراسة في مد الباحث بأسباب دوافع وضعف المقاومة الوطنية في بلاد السودان الأوسط وفق فلسفة التاريخ.

وتسفر هذه الفلسفة بشكل كبير عن تفسير ومعالجة قضية الاحتلال الفرنسي لبلاد السودان الأوسط للخروج به من الأحكام الجزئية إلى الأحكام الكلية. ولكي يتحدد الموضوع أكثر، يمكن الاستناد إلى تفسيرات مدارس فلسفة التاريخ والحضارة، وعندها يمكن تغليب النظرة الكلية على النظرة الجزئية للمقاومة الوطنية، من خلال الاختلاف في النظر والتعليل المنهجي لدى كل فيلسوف تاريخ، لذا؛ يجد الباحث نفسه ملزم بتأطير الموضوع بأهم المدارس الفكرية مستفيدين منها في كثير من الاستشهادات العلمية والسياقات التاريخية.

ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي: ما الأسباب الحقيقية التي دفعت بالكيانات السياسية والزعامات الاجتماعية في السودان الأوسط إلى مقاومة المحتل الفرنسي؟

وتتحدد حدود هذه الدراسة في ثلاثة أطر:

- الإطار المكاني: بلاد السودان الأوسط.
- الإطار الزمني: 1895- 1920م.
- الإطار الموضوعي: مقاومة الاحتلال وفق فلسفة التاريخ.

أما المنهج المستخدم، فهو المنهج التاريخي الوصفي، والمنهج التاريخي المقارن. لتوصيف تحركات المحتل الفرنسي إلى السودان الأوسط ومحاور المقاومة، كما عمدت الدراسة إلى استعراض موجز لآراء مدارس فلسفة التاريخ وإسقاطها على واقع المقاومة آنذاك، ومقارنتها فيما بينها للخروج بقاعدة أكثر شمولية يمكن أن نفسر من خلالها منحنى الانحدار السياسي والاجتماعي لمجتمع بلاد السودان الأوسط إبّان الاحتلال الفرنسي.

ويهدف هذا البحث إلى إجراء دراسة تطبيقية علمية لفلسفة التاريخ والحضارة على المقامة الوطنية لبلاد السودان الأوسط، لتحقيق فهم شامل وكلي للاحتلال الفرنسي، من خلال محاولة الإجابة عن هذه التساؤلات: متى وكيف قامت المقاومة الوطنية في بلاد السودان الأوسط؟ كيف يُنظر للمقاومة الوطنية في ضوء فلسفة التاريخ؟ هل يمكن توظيف نظريات فلسفة التاريخ المختلفة على طبيعة المقاومة؟ ما هي أهم أسباب ضعف المقاومة؟

أما فرضيات الدراسة والتي حاولت الإجابة عن تلك التساؤلات، فجاءت كالآتي:

بدأت المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في السودان الأوسط بتحركات المحتلين الفرنسين إلى السودان الأوسط.

يمكن أن يُنظر إلى دوافع المقاومة بالدينية والسياسية.

يمكن تفسير المقاومة من منظور فلسفي.

تعدد محاور وتعدد المقاومة كياناتها، قد يكون أحد أهم أسباب ضعفها.

الدراسات السابقة حول هذا الموضوع:

هناك عدد من الدارسات التي تناولت موضوع المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في بلاد السودان الأوسط بشكل عام، ولكنها لم تتطرق لأسباب قيامها وعوامل ضعفها من منظور فلسفة التاريخ، من هذه الدراسات:

1. دراسة: حلولو، الطيب إدريس. المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد 1894-1920م، الجيزة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2021م.
2. دراسة: أحمد، حامد عبد الله. الحضارة الإسلامية في مملكة وداي 1615-1909م، القاهرة-مصر: دار الفضيلة، ط1، 2016م.
3. دراسة: أيوب، محمد صالح محمد. الدور السياسي والاجتماعي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي-شاد 1853-1917م، ليبيا-طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2001م.
4. القشاط، محمد سعيد. أعلام من الصحراء، ليبيا: مؤسسة ذي قار، ط2، 1999م.

هيكلية الدراسة: يمكن تقسيم الموضوع إلى ثلاثة مباحث رئيسة:

المبحث الأول: الإطار الزمني والجغرافي للمقاومة الوطنية.

المبحث الثاني: المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في ضوء فلسفة التاريخ.

المبحث الثالث: توظيف النظريات برؤية شاملة.

المبحث الأول: الإطار الجغرافي والزمني للمقاومة الوطنية.

أولا: الإطار الجغرافي للمقاومة

بلاد السودان الأوسط:

أطلق الكتاب والرحالة العرب خلال القرن الثالث عشر الميلادي مصطلح (بلاد السودان) على المنطقة الواسعة الممتدة ما بين المحيط الأطلنطي غرباً، والبحر الأحمر شرقاً، ومن حدود طرابلس وبرقة شمالاً، إلى الكونغو جنوباً. يقول الإصطخري في كتابه (المسالك والممالك): "... وبلدان السودان بلدان عريضة إلّا أنّها قفرة قشفة..."[1]. وحددها القزويني بقوله: "هي بلاد كثيرة، وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلى أرض البربر، وجنوبها إلى البراري، وشرقها إلى الحبشة، وغربها إلى البحر المحيط"[2].

ثم قسُمت هذه المنطقة الواسعة إلى ثلاثة أجزاء: السودان

الشرقي، يمتد من البحر الأحمر حتى دار فور. وقامت فيه مجموعة سلطنات كونت ما يعرف اليوم بجمهورية السودان. السودان الغربي، ويمتد من شرقي نهر النيجر إلى المحيط الأطلنطي، وفيه قامت ممالك غرب أفريقيا، غانا ومالي والسنغاي. السودان الأوسط، ويمثل المنطقة التي قامت عليها سلطنة كانم، باقرمي، ودار وداي العباسية قبل تكوين دولة (تشاد الحالية).[3]

ثانيا: الإطار الزمني للمقاومة

بدأت المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في بلاد السودان الأوسط سنة 1895م واستمرت ما يقارب الثلاثة عقود، شكلت حقبة مهمة ودورة حقيقية في تاريخ السودان الأوسط، وفرضت بعد ذلك نفسها بقوة، لتصبح السمة البارزة في تاريخ العلاقات الفرنسية التشادية في الوقت الراهن. وقد تركت آثارها النفسية في مشاعر الشعب الأفريقي عموماً، والشعب التشادي على وجه الخصوص، وهو ما جعل عدداً من الشعراء التشاديين يترجمون تلك المشاعر في تعبيراتهم الأدبية شعراً ونثراً[4].

ومن الأدباء التشاديين المعاصرين[5]، الذين أرّخوا للمقاومة بالفن المسرحي الممزوج بالمقدس الديني الصوفي الذي يرقى إلى التأمل الفلسفي العميق، مشيراً إلى القوة المعنوية الإيمانية التي يتقوى بها المقاومون لدفع ضرر الاحتلال الفرنسي. وقد مثّل هذا الأدب اتجاهاً تاريخياً معبراً عن بعض أبعاد فلسفة التاريخ[6].

تجهز المجتمع في بلاد السودان الأوسط للمقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي، عند انعقاد مجلس النواب الفرنسي (فرانسوا ديلونكل /François Deloncle) في 28 نوفمبر 1895م، وتصريح مجلس النواب عندما قال: إن السياسة الفرنسية في التقدم نحو (حوض البحيرة) وأعالي أوبانغي ووداي النيل؛ لإنشاء مستعمرات دائمة فيها[7].

وتنفيذاً لهذا الاقتراح الاستعماري الذي أدلى به النائب ديلونكل/ Deloncle، قررت الحكومة الفرنسية آنذاك إرسال بعثة عسكرية إلى الكونغو والبحيرة بقيادة (إيميل جانتي/Émile Gentil)، وحتى 07 سبتمبر 1897م، وصلت البعثة إلى السودان الأوسط، وخلال أيام قليلة من إقامتها في منطقة (بيسو*)، أرسل سلطان سلطنة باقرمي عبد الرحمن قورنق* وفداً رفيع المستوى إلى (بيسو) للاحتفاء بوصول رئيس البعثة العسكرية الفرنسية (إيميل جانتي/Émile Gentil)، وبعد ثلاثة أيام وقّع الطرفان اتفاقيتين، الأولى تسمح لفرنسا بممارسة حق الانتداب في سلطنة باقرمي، والأخرى الحماية العسكرية للسلطنة، وبموجب هاتين الاتفاقيتين تم تعيين مبعوث سام للحكومة الفرنسية لدى سلطنة باقرمي[8].

هذه الخطوة التي جاءت من سلطان باقرمي أثارت غضب بعض القادة المقاومين للاحتلال الفرنسي، ولهذا واجه (إيميل جانتي/Émile Gentil) المقاومة الوطنية من بداية الأمر، وكان له دور كبير في تحقيق الأسس الأولية للاحتلال الفرنسي في السودان الأوسط، وضمن أهدف هذه البعثة التي كانت تدعم من الحكومة الفرنسية والشركات الفرنسية ورجال الأعمال، دراسة مجتمع بلاد السودان الأوسط وإعطاء خريطة حربية شاملة ومفصلة عن مدى صلابة أو هشاشة المقاومة الوطنية في هذه المنطقة. كما تهدف هذه البعثة إلى قطع الطريق أمام البعثات البريطانية والإيطالية والألمانية التي تسعى لمد نفوذها في هذه المنطقة الاستراتيجية.

وبهذا سارعت الحكومة الفرنسية إلى قطع الطريق أمام ألمانيا المتمركزة في ما يسمى اليوم ب(الكاميرون) والزاحفة نحو حوض البحيرة، فضلاً عن السياسة البريطانية التي تنتهجها لمساندة الطموحات الألمانية وتحجيم النفوذ الفرنسي في هذا الحوض. وفترة التمدد نحو الحوض هي من أهم فترات التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية على مجاري المياه الأفريقية، كنهر الكونغو ووادي النيل وحوض البحيرة. واستدراكاً منها حاولت الدول الأوروبية تحكيم العقل لتحديد مناطق النفوذ بينها، فعقدت مجموعة من الاتفاقات لتسوية الأمور من أجل استكمال عملية الاحتلال التي يعرقلها التنافس على النفوذ[9]. وقد قضت تلك المعاهدات بتقسيم بلاد السودان بين كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا[10].

وكان من نصيب السودان الأوسط (تشاد الحالية) أن تكون تحت الانتداب الفرنسي. ولتثبيت أقدامها على هذه الأرض، سعت فرنسا إلى التمركز في المناطق الجنوبية بعد تهجير القبائل الجنوبية الرافضة للاحتلال الفرنسي، وإغراء المجموعات الأخرى بالوظائف العسكرية وأعمال البناء والطرق وغير ذلك من المغريات التي أدت إلى إضعاف المقاومة وتقوية المحتل[11].

وأثناء ذلك، نادى بعض العلماء ورجال البلاط في سلطنة دار وداي العباسية، بالإصلاح في نظام السلطان دود مرة* منهم الشيخ عبد الحق الترجمي وعقيد الدبابة آدم أصيل عبد المحمود، ولمّا علم السلطان دود مرة بذلك همّ بفقع عيني العقيد أصيل، فهرب إلى سلطنة باقرمي وانضم لجنود الاحتلال، وأحاطهم بكل نقاط القوة والضعف في المقاومة الوطنية في سلطنة دار ودّاي. كتب قائد الاحتلال الفرنسي إلى السلطان دود مرة يطلب منه الدخول تحت حماية القوات الفرنسية. جمع السلطان جميع العلماء ومستشاريه وأعيان القوم، واستشارهم في الأمر، فانقسموا إلى فريقين: فريق دعا إلى المقاومة والجهاد وعدم الدخول في حماية الفرنسيين، وهم الغالبية. وآخر دعا إلى تحكيم العقل والمنطق بطلب الهدنة والمصالحة والتفاوض والحوار، وهو الموقف الذي يتزعمه الشيخ عبد الحق الترجمي، وأخيراً وثق رأيه في رسالته الموسومة: تبصرة الحيران من هول فتن الزمان[12].

وأهم ما جاء في هذه الرسالة[13]:

1. إن الاحتلال الفرنسي يمتلك من الأسلحة الحديثة والفتاكة ما لا قبل للسلطنة به.
2. إن سلطنة دار وداي أنهكتها الحروب التي استمرت لسبع سنوات متتاليات قضت على المال والعتاد والطاقة البشرية.
3. إن الإسلام دين واقعي لا يرفض الهدنة، بل يعطي للحاكم الحق في المهادنة التي تكون في صالح مجتمعه ودينه.
4. انتشار القوة الغازية في صورة وحدات على طول البلاد وعرضها لتشتيت قوى المقاومة[14].

بعد خضوع المناطق الجنوبية لمناطق السودان الأوسط، تمدد الاحتلال إلى المناطق الشمالية، ودارت المعارك الضارية بين المحتل والمقاومين، سجل التاريخ كثيرا من البطولات، من ذلك معركة (كونو) 28 أكتوبر 1899م بين المقاوم رابح فضل الله* وقوات المحتل، ومعركة (كسري) في الحدود (التشادية الكاميرونية الحالية) التي قتل فيها رابح في 22 أبريل 1900م[15].

وفي نهاية معركة كسري، صدر مرسوم في 05 سبتمبر 1900م ينص على إنشاء محمية في المنطقة. والذي يبرر الوجود الفرنسي فيها بشكل مطلق.

ألهب هذا المرسوم معظم الشرائح، فانتفضت المقاومة في كل بقعة

من بقاع بلاد السودان الأوسط وليبيا، ونشبت المعارك الطاحنة بين المقاومين والمحتلين الفرنسيين، في كل من (بئر علالي) بين عامي 1901-1902م، ومعركة (أم التيمان) ومعركة (حميمة) ومعركة (وداي الشوك) ومجزرة (الكبكب/الساطور) التي وقعت في سلطنة (دار وداي العباسية) وذلك في 15 نوفمبر 1917م، والتي استشهد فيها حوالي 400 عالم وحافظ لكتاب الله[16]. هناك روايتان توضحان السبب الكامن وراء مذبحة الكبكب[17]:

الأولى: وهي رواية الاحتلال الفرنسي، تقول أن السبب هو الفتوى التي صدرت من الشيخ عبد الحق الترجمي وشقيقه بهرام، والتي تجوّز اغتيال الفرنسيين النصارى الغزاة مقابل دخول الجنة.

وهي راوية متناقضة في ذاتها؛ لأن الشيخ عبد الحق الترجمي، قد انفرد برأيه في الاجتماع المنعقد بين السلطان والعلماء بشأن محاربة الاحتلال من عدمه. فجاء رأيه بضرورة توقيع الهدنة مع المحتل وعدم الخوض معه في حروب دموية.

الرواية الأخرى: ترجع السبب إلى رفض الشيخ يحي جرمة لاستباحة المطلقات من النساء، الذي قام به جنود الاحتلال الفرنسي بأمر من قائدهم العام الذي استباح كل امرأة مطلقة لجنوده الراغبين في الأفعال البهيمية، ونكاية بالشيخ يحي قام جنود الاحتلال الفرنسي بخطف ابنة عم الشيخ يحي جرمة، فخطفت ساطوراً من أحد الجند وضربت به رأس الجندي ورمته صريعاً. انتقم الفرنسيون فضربوا حصارا على مدينة أبشة ثم نفذوا جريمة القتل بالمثل/الساطور على كل عالم أو مشهود له بالتدين والصلاح.

وفي 17 ديسمبر 1917م، استسلمت المقاومة الشرقية باستشهاد قائدها عبود ول شرارة في بلتن[18]. واستشهاد قائد منطقة الوسط في كل من (آتيا ومنقلي) عقيد الراشد الذي انهزم بسبب مساعدة العميل (أصيل) الذي انضم إلى قوات الاحتلال الفرنسي وزودهم بالخطط العسكرية والاستراتيجية. كما استشهد قائد المنطقة الجنوبية عقيد السلامات في معركة بحر السلامات[19].

يقول محمد صالح أيوب: «ولولا مساعدة الخبرة والعمالة التي يقدمها أصيل للقوات الفرنسية لما كانت نتيجة المقاومة الاستسلام للمحتل»[20].

مقاومة الليبيين للاحتلال الفرنسي:

لعلّ من المفيد ههنا، أشير إلى المقاومة الليبية للاحتلال الفرنسي في منطقة السودان الأوسط التي كانت مسرحاً للعلاقات الشعبية والهجرات منذ أقدم العصور إلى القرن التاسع عشر الميلادي؛ إذ حدثت فيه أكبر موجة هجرة في العهد القرماني(1711-1835م)من مناطق برقة وطرابلس وفزان إلى حوض بحيرة تشاد[21].

ومن أهم دوافع تلك الهجرات، التجارة والدعوة إلى الله واضطهاد الأتراك للقبائل الليبية والاضطرابات السياسية عموماً، والتي لها أثر تاريخي على هذه المنطقة؛ إذ بسببها استقرت في كانم قبائل المجابرة والفزان وغيرها في سلطنة كانم برنو ومن ثم وصلت هذه القبائل إلى مكانة سياسية مرموقة.

فبعد إخفاق ثورة الشيخ عبد الجليل سيف النصر واستشهاده عام 1842م على يد الأتراك الذين قتلوه مع معظم أفراد أسرته، هاجرت قبيلته أولاد سليمان وحلفاؤها المناصير والورفلة والحساونة والقذاذفة إلى السودان الأوسط واستقروا بالقرب من حوض بحيرة (تشاد الحالية)[22].

ويتجلى الوجود الليبي في كانم برنو وسلطنة دار وداي في أسماء أماكن ذات نكهة ليبية مميزة مثل: (أم زوير، بحر السلامات، بئر علالي، وادي كندور، وادي الحداد، وبحر الغزال) وغيرها من المسميات العربية، وقد أدى تركيز الليبيين حول هذه المناطق في تحويلهم إلى قوة لا يستهان بها، فأدرك سلاطين كانم ودار وداي قوة القبائل الليبية، فسعوا إلى التحالف معها، وكان الشيخ عمر بن محمد الأمين الكانمي(1835-1880م) زعيم برنو أول من دخل في تحالف مع بعض القبائل الليبية، من أجل حماية التجارة القادمة إلى كانم برنو.

واستمرت القبائل الليبية في التحالفات من قوة إلى قوة، فأصبحت قوة مهيبة في المنطقة حتى قدوم الحملات الفرنسية عام 1899م إلى السودان الأوسط، فأعاقت هذا التقدم داخل سلطنة كانم.

وعندما رأت بعض هذه القبائل الليبية المرابطة في الواحات اللاحمة بين ليبيا والسودان الأوسط، خطر المحتل الفرنسي الزاحف، لم تقف متفرجة إزاءه؛ وإنما نادت بالجهاد لدفع العدوان عن المسلمين في كانم برنو ودار وداي، وقد لبّت القبائل الليبية هذا النداء منتشرة في معظم مناطق السودان الأوسط تقاتل العدو المحتل.

وقف الشيخ غيث عبد الجليل سيف النصر في وجه التقدم المسيحي الفرنسي، وأطلق على حملته الجهادية اسم (حرب الأنصار)[23].

ومن أبرز شخصيات المقاومة الليبية في السودان الأوسط، الشيخ المهدي السني (ت: 1933م) الذي انتقل إلى (فايا) في (تشاد الحالية) وكان شيخاً عندما هاجم الفرنسيون (فايا) فقاد حملة مقاومة ضارية للدفاع عنها. ثم انتقل إلى (فزان) لمقاومة الاحتلال الإيطالي عند ما وصل الإيطاليون (غات) سنة 1914م[24].

ومن بين رموز المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في السودان الأوسط، الشيخ أحمد بن الشريف بن محمد بن علي السنوسي (1873-1940م) الذي رحل مع عمه المهدي السنوسي إلى بلدة (قرو) في (تشاد الحالية) سنة 1902م، وذلك للإشراف على الزوايا وحركة الجهاد، ولمّا هاجم الإيطاليون ليبيا، رجع أحمد الشريف إلى (القفرة) ليتولى أمر الجهاد ضد الإيطاليين فيها[25].

إن هجوم الإيطاليين على ليبيا، وإن كان هو أحد أهم الأسباب البارزة لضعف مقاومة المحتل الفرنسي في السودان الأوسط، إلا أن هنالك أسبابا أخرى لم تكن أقلّ أهمية منها، من ذلك خوف القوات الفرنسية من انفجار ثورة الزوايا الليبية المتراصة على امتداد الواحات والمدن الصحراوية اللاحمة بين ليبيا وكانم، فدبرت مكيدة باستمالة بعض زعماء القبائل التقليديين في كانم ووقعت معها اتفاقية حماية.

كذلك استغلت القوات الفرنسية بعض الخلافات بين المقاومين الليبيين في كانم فشجعت بعضهم على الانشقاقات وعرقلة صفوف المقاومة وفق قاعدة فرّق تسد[26].

استمرت فترة هذه المقاومة حوالي خمسة عشر عاماً، تذب عن حياض المسلمين، حتى سمعت بنبأ نيّة الإيطاليين للهجوم على ليبيا عام 1911م، فتراجعت وبسببها ضعفت المقاومة في كل من كانم ودار وداي ولم تعمر طويلاً.

إن دوافع المقاومة الليبية في بلاد السودان الأوسط، والتي قادها علماء وشيوخ بداعي الجهاد الذي يكون واجباً على المسلمين إذا هاجمت قوى المحتل بلدة من بلادهم، لم يكن دافعها مادي أو سياسي؛ وإنما تُبرر هذه

المقاومة بالأسباب الدينية المشروعة.

ومن خلال ما سبق، يمكن الإشارة إلى أهم العوامل التي أدت إلى ضعف المقاومة الوطنية في السودان الأوسط وتفوق قوة المحتل الفرنسي:

- التنافس الاستعماري الأوروبي والظروف السياسية الدولية التي تحيط بأفريقيا نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.
- أهمية بلاد السودان الأوسط التي أظهرتها البعثات الفرنسية والألمانية للحكومة الفرنسية شجعت على التسابق الفرنسي نحوه بخطة مدروسة لضرورة احتلال السودان الأوسط.
- غياب التنسيق بين قوى المقاومة في السودان الأوسط، وغياب الوعي بفنون المقاومة والتكتيك العسكري الذي يناسب الموقف.
- هجوم إيطاليا على ليبيا وتراجع القبائل الليبية للدفاع عن الوطن والعرض.
- الخيانات الداخلية للقوى المقاومة واستغلالها من طرف المحتل.
- عدم تكافؤ الأسلحة المستخدمة بين الطرفين.
- سقوط قادة المقاومة الوطنية في ساحة القتال أدى إلى تراخ همم المقاومين واستسلامهم للمحتل.

يرى أحد الباحثين أن سبب السقوط الحقيقي لقادة المقاومة ومن تبعه من تراخ للهمم، جاء عن طريق المفاوضات بين الطرفين المقاوم والمحتل، باستخدامه الحيل والإغراء والخداع[27].

المبحث الثاني: المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في ضوء مدارس فلسفة التاريخ:

1/ المقاومة الوطنية ونظرية العناية الإلهية:

يتصرف الإنسان وفقاً لأفكاره ومعتقداته، وفي فترة الاجتياح الفرنسي للسودان الأوسط بداية القرن العشرين، سيطرت فكرة العناية الإلهية ونظرية المؤامرة على المسلمين المقاومين للاحتلال الفرنسي. ويمكن الاستناد في ذلك إلى العقيدة التي تشكلت في المجتمع قبل مجيء المحتلين وغذت الموقف الفكري للمقاومين بمختلف شرائحهم، فقد رفض جمع غفير من العلماء في سلطنة دار وداي مهادنة العدو رغم قلة الإمكانات الحربية، وصوّتت الغالبية الساحقة على ضرورة مواجهة العدو إيماناً منها بالنصر المؤيد من عند الله تعالى. والناظر إلى كلتا الروايتين في سبب مذبحة الكبكب/الساطور، يدرك أن قتل الملازم الفرنسي بيد الشاب (خير جا)، كان بدافع الغيرة الدينية التي شكلتها حلقات العلم والتي تدعو إلى مقاومة النصارى المحتلين بشتى الطرق حتى بالاغتيالات وأعمال الفداء مقابل الأجر الكبير ودخول الجنة. ويتجلى أيضا هذا التأثير في الرواية الثانية، وهي مقاومة المرأة وانتقامها من جنود الاحتلال الذين يجبرونها على الاغتصاب وممارسة الفاحشة.

يشير مفهوم نظرية العناية الإلهية للمؤمنين بها إلى أن التاريخ عبارة عن وقائع وأحداث تخضع للمشيئة الإلهية[28]. وتُعزى نظرية العناية الإلهية في النصر على أعداء الله، إلى القديس سان أوغستين المتوفي سنة 430م، فهو أول من رأى في الفكر الديني، إن عالم الطبيعة مظهر للعناية الإلهية وقدرة الله على كل شيء، وعالم الإنسان مظهر لعنايته، وانتصار الدين على العبث هو أبرز مظاهر تلك العناية؛ لأن دورة التاريخ وحركة الحياة تتجلى في الصراع بين مدينة الله ومدينة الشيطان، فيكون النصر وإن طالت فترة الصراع، لمدينة الله. ومن ثم، وبحسب هذه النظرية؛ فإن المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في السودان الأوسط إرادة ربانية، وانتصار المقاومة على المحتلين الفرنسيين أمر محسوم سلفاً وفق العناية الإلهية التي تتجسد في مساندة هذه المقاومة.

ويلاحظ أن فكرة الفداء لدى المقاومين المسلمين آنذاك، قد تأثرت بنظرية العناية الإلهية بصورة كبيرة، وأهم ما يشبك هذه العلاقة ويميز العناية الإلهية هو الاتجاه الروحي الداخلي، الذي يتأسس على الاعتماد الكامل على الله سبحانه وتعالى. كما يمكن أن تتشابك الرؤيتان في دور العلماء والرؤساء الدينيين والحكام والأبطال في المقاومة والبسالة التي يمنحهم الله إياها، وهو الدور الذي نشأت عليه الفروسية عند العقداء والفدائيين في المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي، ومما يؤيد المنزع الروحي، أن بعض المقاومين الفدائيين كانوا يكتبون سورة (يس) والطلاسم على أدواتهم الحربية.

2/ المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في ضوء نظرية التقدم

في أواخر القرن السابع عشر وطوال القرن الثامن عشر، أخذ الفكر الأوروبي يؤكد ثقته بالعقل والمنطق، وبتفوقه على القيم والوحي، وكانت السمة البارزة لهذه النظرية هي الاعتزاز بالمعرفة العقلية التي تؤدي إلى تحرير الإنسان من آلام الحروب وشقاء الحياة[29]. وقد اشتهرت هذه النظرية عند (فولتير/Voltaire ت: 1778م) الذي دعا إلى إعادة قراءة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف، لتقييمه وبيان أخطائه بغية تجنبها في المستقبل. والمعيار الذي سار عليه Voltaire في قراءة التاريخ هو اعتبار العقل أهم ركيزة لفهم التاريخ والحكم عليه.

وفي نظر فولتير، أن المجتمعات البشرية تتحرك في ظلام الخرافات والأساطير ثم تخرج إلى نور العقل المتزايد، ولذا فإن التباين بين الشعوب في جوهره يعود إلى اختلاف البيئة الجغرافية، إذ الحياة كلها ما هي إلا انعكاس للظروف المُناخية، وأن التاريخ ما هو إلا رد فعل الطبيعة للمؤثرات المختلفة، كصلة ثقافة المجتمع بالإطار الطبيعي والبيئة المحيطة. غير أن الذي يقرر هو الإنسان الفاعل وهذا التقرير يعتمد على نوع هذا الإنسان. فالتاريخ حسب نظرية فولتير تفاعل بين إرادة الإنسان ومعطيات البيئة المحيطة به، أي أن الإنسان غير الفاعل قد يبقى أسيراً للبيئة ويعيش في كهوف الخرافات[30].

وبحسب هذه النظرية، أن فترة المقاومة الوطنية للاحتلال سادت فيها روح الحروب والقتل والأحقاد والتعصب، وهي سمات إنسانية لا دخل لها في مسار التاريخ؛ لأن الله خلق العالم وفق قوانين ثابتة لا علاقة لها بفعل الإنسان من خير أو شر، ومن أجل حراسة السعادة واستبعاد الشر، مُنح الإنسان العقل ليحسن استخدامه من أجل إسعاد الآخرين، وبناء على ذلك؛ فإن التاريخ لا يمضي وفقاً لمفهوم العناية، وإنما يسير بمقتضي العقل البشري نحو الأفضل[31].

منطوق هذه النظرية، هنالك أخطاء عقلية ارتكبها قادة المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي بحق المجتمع الذي طالته آلة القتل والفتك والتهجير، وضياع الإرث الثقافي والحضاري، واقتلاع لبذرة الفكر والوعي في مدينة أبشة خصوصاً. هذه المقاومة التي حركها الحماس في الاجتماع

التشاوري الذي عقده السلطان دود مرة مع أعيان القوم، وحركتها فتاوى غيبت العقل تماماً، فلو اختار هؤلاء القادة رأي الشيخ عبد الحق الترجمي لكان أدعى إلى الحق والصواب والتعقل، ولجنبوا الشعب كثيراً من ويلات حروب المقاومة التي طالت حتى المرأة والطفل، بل شملت الحجر والشجر والحيوان.

3/ المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في السودان الأوسط في ضوء النظرية الميتافيزيقية:

يرى (هيغل/Hegel ت:1831م) أن وجود الشيء الذي يتمظهر في العالم الخارجي، ثمرة لإبداع الفكر[32]. يتعمم هذا الشيء فيشمل الأحداث البشرية والوقائع التاريخية، فهي تخلق في رحم الفكر ثم يدفعها حقيقة ماثلة ثم ينفيها، وفق الديالكتيك الهيغلي.

إن أبعاد نظرية هيغل الموغلة في الميتافيزيقيات، تبدأ من الفكرة البسيطة والمعقدة، وهي الفكرة الأكثر ثراء، والأشد فقرا في الوقت نفسه، وهي فكرة الوجود الذي لا يقبل التحديد. فالروح المطلق لو ظل مطلقا لما أمكنه أن يعي ذاته، ولا أن يتحقق كروح؛ لأن المطلق يعني اللا متعين، واللا تعين سلب، لهذا فإن الروح المطلق لكي يعي ذاته باعتباره كذلك لابد أن يتعين، فإذا كان التعين في الزمان كان تاريخاً، وإذا تعين في المكان، كانت الطبيعة، فالتاريخ إذن هو مسيرة الروح المطلق نحو نفسه[33].

والفكر أو الروح المطلق يتعالى على الأفكار الجزئية، والمقصود به الفكر بمعناه الكلي، أي الحقيقة الجوهرية لمفهوم الفكر، إذ تغطي هذه الحقيقة جميع الجزئيات الفكرية المتفرعة عنها، ويعبر عنه هيغل في بعض مؤلفاته بالوجود المطلق والعقل المطلق، فـ«العقل هو الفكر الذي يعين نفسه بنفسه بحرية كاملة»[34].

وعلى هذا الأساس، فإن غزو الفرنسيين للمنطقة، محدد سلفا في وعي المطلق عندما يعرض نفسه للزمان والمكان بالتواصل المستمر، أي أن الزمان والمكان فضوليان على الروح المطلق، وإذا تخلى عنهما سيزولان؛ لأنهما طارئان عارضان لا يحصل الروح بتحصيلهما على شيء، ولا يخسر شيء إذا فقدهما.

ولما كان الروح المطلق هو سر سيرورة التاريخ، وباعث تجلياته بالإيجاد المطلق من العدم المطلق والتحسين المستمر، نحو مملكة الروح، كان لابد لظهور تاريخ الاحتلال والمقاومة وتطورهما، إعلان عن احتياجهما وفقرهما الدائم لتلك الروح.

إن هذه النظرية التجريدية، ترى أن حركة التاريخ تجسيد لصراع المتناقضات، وهو القانون الذي أرسى دعائمه الفيلسوف اليوناني (هيرقليطس ت: 470 ق.م) عندما أشار بأن المرء لا يمكن أن يستحم في النهر مرتين، وذلك في سبيل تحقيق مسار الروح المطلق من خلال الأحداث الجارية كالنهر تماماً، ولهذا فإن النظرة الهيغلية للمقاومة الوطنية التشادية ضد الاحتلال الفرنسي لا تخرج عن كونها شكلاً من أشكال الديالكتيك المستمر الذي يحكم هذا الكون ويسيره الروح المطلق. فالصراع بين الاحتلال والمقاومة سيستمر إلى أن يحقق الروح المطلق مملكته النهائية بالاحتلال الكامل والانتهاء بالتبعية والاحتلال، ويمكن ملاحظة هذه الفلسفة الهيلغلية في العقيدة الكولونيالية، إذا عدنا إلى مذكرات بعض قادة المحتلين الفرنسيين[35].

ويبدو أن هذه النظرية تفتقر إلى الركائز العلمية، في تبريرها للاحتلال من خلال الديالكتيك المستمر نحو مملكة الكمال. ولهذا يرى (غوستاف لوبون/Gustave le Bon، ت:1931م) أن فلسفة التاريخ بهذه الصيغة السياسية، ستفقد الأسس العلمية الأكيدة، وإذا تجرد أي علم من الأسس والمرتكزات التي يبني عليها قوامه، فقد وجوده كلياً[36].

4/ المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي ونظرية التعاقب الدوري للحضارات

صاحب هذه النظرية هو (عبد الرحمن بن خلدون، ت: 1406م[37]. تقول هذه النظرية بحتمية التغيير في التاريخ، سلباً أو إيجاباً[38]. استناداً على الاستقراء التاريخي والوحي الإلهي الذي يؤيد ما ذهبت إليه هذه النظرية في قاله تعالى: ﴿إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد، وما ذلك على الله بعزيز﴾. سورة إبراهيم: 19. فالحتمية في دورة التاريخ عند ابن خلدون ناموس من نواميس الحياة، ونتيجة طبيعية لضعف العصبية لدى الشعوب والأمم والحضارات.

وبناء على هذه النظرية، فمن الطبيعي أن تسقط السلطنات والكيانات الاجتماعية المقاومة كالمقاومة الليبية واحدة تلو الأخرى أمام تقدم المحتلين الكاسح. فمرحلة الانهيار بدأت بهبوط قوة عصبية السلطنات التي أصابها الضعف والتفتت الداخلي قبيل زحف قوة الاحتلال الفرنسي ذات العصبية القوية. وصلت قوة المحتل الفرنسي إلى السودان الأوسط، والكيانات المحلية الحاكمة في دوامة صراع مرير. فسلطنة باقرمي تتوجس من سلطنة كانم التي تهدد وجودها، وكانم تخوض معارك صفرية مع سلطنة دار وداي، وفي هذا الوقت قدم رابح بن فضل الله من الشرق وعسكر في مدينة (كسري) وأصبح خطرا لكل السلطنات، وفي خضم هذا الضعف استنجدت سلطنة باقرمي بالفرنسيين ضماناً لوجودها، كما استنجد بهم آدم أصيل أحد أهم رجالات السلطان دود مرة سلطان دار وداي. ومن جهة الشمال، أحدث نزول الإيطاليين إلى ليبيا خللاً في المقاومة الليبية.

فلما صادف ضعف عصبيات هذه السلطنات المحلية، وفتور المقاومة الليبية، صعدت قوة عصبية المحتل الفرنسي، وصارت الغلبة له.

5/ المقاومة الوطنية في ضوء النظرية المادية

تستند هذه النظرية على العامل المادي لتفسير الحركة التاريخية، من خلال ما يسمى بصراع الطبقات، وإشباع الحاجات المادية للإنسان من خلال هذا الصراع المتأصل في طبائع البشر. فحركة التاريخ عبارة عن صراع جدلي على المادة. إذ ترى هذه النظرية، أن دافع الاحتلال الفرنسي للمنطقة اقتصادي بالدرجة الأولى، وكذلك دافع المقاومة الوطنية اقتصادي هو الآخر، للدفاع عن المقدرات والمكتسبات المادية التي اكتسبها شعب السودان الأوسط عبر سنين.

المبحث الثالث: توظيف النظريات برؤية شاملة.

تشير النظرية الدورية إلى أن ضعف العصبية سبب في التمزق والتشرذم الذي حلّ بالمجتمع إبّان المقاومة، وهو أهم عامل لضعف المجتمع، ما عجل بانخفاض جذور المقاومة واحتلال البلاد. فالتكتلات والتحالفات التي تعتمد على الاتفاق في فكرة واحدة وأهداف محددة كالتلاحم والوقوف في وجه المحتل، تعزز موقف الانتصار والصمود، بغض النظر عن الاختلافات الجزئية كروابط الدم والحدود الجغرافية للسلطنات.

إن للإسلام الذي تدين به السلطنات الثلاث عند مجيء المحتلين، مقومات تعطي قوة هائلة (عصبية) للمقاومين، فهو دين ضروري لتقدير العصبية. وهذا الدين يطمس أي عصبية قائمة على العرق أو الجنس أو الجغرافيا، مما يمنع أي حدوث للتنازع والفشل بين المقاومين الذين يتوزعون

في كانم، باقرمي، رابح، ووداي، والقبائل الليبية.

إن الهرم الحاكم في كل هذه السلطنات، فاسد- بحسب النظرية الدورية- لهذا عجل الفساد المالي، الإداري، السياسي بانكماش المقاومة الوطنية في السودان الأوسط عموماً.

أما عن النظرية الميتافزيقية، والتي تعتقد بسمو الجنس الأوروبي على ما سواه، لها أثر عميق في نفس المحتل الفرنسي الذي يشعر بالتفوق العرقي والحضاري والعسكري على الإنسان الأفريقي، ساهم هذا الاعتقاد الذي بثّته النظرية الميتافيزيقية أيام التكالب الغربي الأوروبي على الشعوب الأفريقية. ثم إن مملكة الروح-وهي لباب الفلسفة الهيلغلية- ولدت فكرة أساسية لدى المحتلين، وهي الشيء وضده من خلال تنازع الأضداد والنفي ونفي النفي الذي يتكامل عند مملكة الروح المطلق، وهو انتصار الكولونيالية الاستعمارية على المقاومة الوطنية.

وتفيد النظرية المادية التي تقول بها مدرسة كارل ماركس، بأن القوة المادية التي تحكم التطور التاريخي قد تحكمت على طبيعة هذا الصراع الذي هو في الأصل صراع على خيرات السودان الأوسط (المادة). فالمحتل جاء بدافع اقتصادي بحت لتحسين الاقتصاد الرأسمالي في فرنسا، كذلك يحاول المقاومون الدفاع عن مصالهم في ومكتسبات سلطناتهم. فالصراع إذن، بين المحتلين والمقاومين- أو كما يرى ماركس- يدور حول المادة.

التكاملية التفسيرية:

يمكن طرح صورة تكاملية حول أحداث المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي للسودان الأوسط من النشأة حتى السقوط، من خلال أبعاد الموضوع الأساسية وهي: البعد الميتافيزيقي وبعد العناية الإلهية والتعاقب الطبيعي للحضارات قياماً وسقوطاً، فقد شاءت الأقدار أن تسقط السلطنات التشادية الثلاث: كانم، باقرمي، وداي، ومعها قوة القبائل الليبية ورابح بن فضل الله، عندما خارت قواها، ونخرها سوس الفساد، وظهرت قوة ضدها تتفوق عليها عسكرياً ومادياً. وكل هذه مجرد أسباب تحركت باتجاه المسبب عندما ضعفت العصبية وتشرذمت القوى الاجتماعية.

إننا لا يمكن أن نغفل صراع الكيانات الاجتماعية والسياسية حول المادة، وفقاً لرأي المدرسة المادية، فقد سبق قصة الاحتلال تحرك المستكشفين الأوروبيين إلى السودان الأوسط، فجاسوا خلالها وقدموا تقارير للحكومة الفرنسية تحفزها على الاستفادة القصوى من كنوز تلك المنطقة المكتظة بالخيرات الطبيعية الهائلة. وبناءً عليه، نفذت الحكومة الفرنسية ما جاء في توصيات المستكشفين للظفر بتلك الخيرات.

منحنيات النظرة الشمولية:

-منحنى الصعود: إن النقطة الجوهرية التي ينحدر بسببها أي مجتمع هاوياً من مجده وحضارته، هي مسألة العمل والحركة الدائبة من أجل البناء الداخلي للكيان الحضاري المجتمعي، فأسباب الهزيمة التي منيت بها المقاومة الوطنية وانحدار المجتمع التشادي وتمزقه ومن ثم إحكام السيرة عليه من قبل المحتلين الفرنسيين، كل ذلك بسبب تخليه عن العمل والحركة التي تمكنه من الخلق والإبداع، بدل الركون للدعة والسكون، ومن دون العمل لا يمكن بناء قاعدة دفاعية عسكرية متطورة تناهض قوة المحتلين الفرنسيين وتحرس الحضارة من غزوهم وتكالبهم، فالتقاعس عن العمل، أدى بالمجتمع إلى هذه النتيجة، وهي سقوط المقاومة واحتلال فرنسا للسودان الأوسط، لأنه من الطبيعي أن يسيطر المتحرك على الساكن. ﴿كلا نمد هؤلاء، وهؤلاء من عطاء ربك، وما كان عطاء ربك محظورا﴾، الإسراء: 20. فالمتحرك غير ممنوع من التطور والإبداع، بحسب هذه الآية.

كما أن زمام التغيير إلى الأحسن بيد الإنسان نفسه، مثلما تشير إليه هذه الآية: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، الرعد: 11.

-منحنى الهبوط: وهي مثل أختها في المعادلة الحضارية؛ لأن أسباب الصعود يكون معكوسها سبباً للانحدار والهبوط، لقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، الأنفال: 53. فالتغيير في معظمه يأتي من الذات الخالقة للإبداع، أو تلك الساكنة المتوقفة عن الحركة والخلق، فالذات الأولى متغيرة إلى الأحسن، والثانية إلى الأسوأ، وبهذا يمكن القول، بأن مجتمع السودان الأوسط، كان مؤهلاً للهيمنة والاحتلال قبيل مجيء المحتلين، فقد ظل جامداً متوقفاً عن الصناعة الحضارية.

إن كل المعطيات التفسيرية السابقة لمدارس فلسفة التاريخ، تفيد بأن التغيير حتمي وطبيعي في منظومة مجتمع السودان الأوسط، سواء جاءت هذه المعطيات التفسيرية على شكل مظهر للعناية الإلهية، أو تماشياً مع مستوى التطور العقلي للإنسان، أو تناسقاً مع مبدأ التداول المضطرد للحضارات، أو صراعاً على المادة، وغير ذلك من المعطيات التفسيرية للمدارس المتعددة.

خاتمة:

تعددت نظريات فلسفة التاريخ، واختلفت في تفسير المقاومة الوطنية للاحتلال الفرنسي في السودان الأوسط، ويعود سبب اختلافها إلى تباين مشاربها الفكرية ومنطلقاتها السياسية، ولهذا تعددت الرؤى واختلفت في تفسير السر الكامن وراء دوافع المقاومة الوطنية وعوامل اضمحلالها وسقوطها. وبالنظر إلى التفسيرات المتعددة، سواء أكانت عقلية أو ميتافيزيقية أو حتمية أو مادية، تبرز المقاومة الوطنية كحدث تاريخي مهم، شكلت دورة حقيقة ومنعطفاً حضارياً خطيراً تأثر به مجتمع السودان الأوسط في جميع مراحل تاريخه اللاحقة. وعليه توصلت هذه الدراسة إلى النتائج والتوصيات الآتية:

- لئن كانت المقاومة الوطنية في السودان الأوسط قد أصابها الهرم الطبيعي، وفق نظرية التعاقب الدوري، وشيء من الضعف والانحلال الداخلي، إلا أن الفساد السياسي للسلطنات وضعف القوى المحيطة بها قد أدى إلى هزيمة هذه المقاومة في نهاية المطاف.
- واحد من أهم أسباب انهيار المقاومة، الخلافات التي تجلت بين العلماء من ناحية، وبين العلماء والسلاطين من ناحية أخرى، مما أدى إلى تشتيت الجهود والرؤى الفكرية والسياسية.
- في نهاية جولة المقاومة، انتقم المستعمر الفرنسي من العلماء مصدر قوة المقاومة، فقتل منهم حوالي أربعمئة عالم.
- اتضح من خلال هذه الدراسة، أهمية تطبيق نظريات فلسفة التاريخ والحضارة على تاريخ المقاومة الوطنية في السودان الأوسط.
- إن للإسلام الذي تدين به منطقة السودان الأوسط، مقومات تعطي قوة هائلة (عصبية) للمقاومين، فهو دين

ضروري لتقدير العصبية. وهذا الدين يطمس أي عصبية قائمة على العرق أو الجنس أو الجغرافيا، مما يمنع أي حدوث للتنازع والفشل بين المقاومين الذين يتوزعون في كانم، باقرمي، ووداي.

- إن الهرم الحاكم في كل هذه السلطنات قد قضى بزوالها.
- كان لنزول المحتل الإيطالي إلى ليبيا أثر كبير في إضعاف صفوف المقاومين.
- شكلت الاستراتيجية الفرنسية القائمة على قاعدة فرّق تسد، خطوة أساسية في تشتيت شمل المقاومة الوطنية القادمة من ليبيا وكذلك في سلطنة باقرمي ودار وداي.

التوصيات:

وبناء على النتائج السابقة، توصي الدراسة بالآتي:

- ينبغي الالتفات لآراء العلماء لمواجهة ومجابهة القضايا المصيرية للأمة.
- فتح المجال لفلسفة التاريخ والحضارة لدراسة النظريات المختلفة للخروج برؤية علمية شاملة.
- مطالبة المستعمر الفرنسي بدفع تعويضات مادية لأسر شهداء المقاومة في السودان الأوسط.

الهوامش:

[1]- الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري. **المسالك والممالك**، بيروت: دار صادر، 2004 م، ص 41.

[2]- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. **آثار البلاد وأخبار العباد**، بيروت: دار صادر، د،ت، ص24.

[3]. طرخان، إبراهيم علي. **إمبراطورية غانا الإسلامية**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ط1، 1975م، ص17.

[4] - ***colloque des Écrivains Tchadiens Travaux et Documents scientifiques***, du Tchad Numéro spéciale, N'Djamena du 03 au 07 Décembre 2007, p.67.

[5] - شاري، موسى حسن. **مسرحية زمن الكبكب**، (مخطوط) المركز الأفريقي للبحوث والدراسات، جامعة الملك فيصل بتشاد، 2002م.

[6] - ***colloque des Écrivains Tchadiens, anthologie la littérature Tchadienne, en langue arabe,*** texte réunis et présentés par: Abdoulaye Moustapha, préface de Ahmad Taboye, N'Djamena du 07 ou 11 décembre 2009, p.152.

[7] - الماحي، عبد الرحمن عمر. **تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894-1960م**، طرابلس-ليبيا: دار الأصالة والمعاصرة، ط2، 2009م، ص44.

* **بيسو:** إحدى مدن سلطنة باقرمي.

* **عبد الرحمن قورنق:** سلطان سلطنة باقرمي أيام الاحتلال الفرنسي، تأسست السلطنة سنة 1513م. ينظر موقع بوابة النهضة التشادية، شوهد على اليوتوب في 19 فبراير 2024م، برابط: https://www.youtube.com/watch?v=OoEdLRP6FJU

[8] - حلولو، الطيب إدريس. **المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد 1894-1920م**، الجيزة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2021م، ص40.

[9] - المرجع نفسه، ص43.

[10] - الحسيني، إبراهيم صالح. تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم-برنو، مصر: مكتبة الحلبي، ط1، 1976م، ص194.

[11] - حلولو، المقاومة الوطنية، مرجع سبق ذكره، ص45.

* **دود مرة:** سلطان سلطنة دار وداي العباسية أيام الاحتلال الفرنسي لتشاد. ينظر: أحمد، حامد عبد الله. **الحضارة الإسلامية في مملكة وداي 1615-1909م**، القاهرة-مصر: دار الفضيلة، ط1، 2016م، ص98.

[12] - أيوب، محمد صالح محمد. **الدور السياسي والاجتماعي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي-شاد 1853-1917م**، ليبيا-طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2001م، ص213.

[13] - الترجمي، عبد الحق السنوسي. **تبصرة الحيران من هول فتن الزمان**، (مخطوط) تشاد-أنجمينا: المعهد الوطني للعلوم الإنسانية، ص8.

[14] - Arbab Djama Babikir, ***L'empire de Rabah Derry***, paris, 1950, p.39.

* **رابح فضل الله:** أحد أهم المقاومين للاحتلال الفرنسي.

[15] - ساعد، أحمد محمد عمر. **الكابوس الفرنسي في تشاد**، مقال منشور برابط: https://afrikatrends.com

[16] - Gouala Nanassoum, ***300 Dates de l'histoire du Tchad***, centre cefod-Tchad, 1995. P27.

[17] - أيوب، الدور السياسي والاجتماعي للشيخ عبد الحق، مرجع سبق ذكره، ص162-164.

[18] - حلولو، المقاومة الوطنية، مرجع سبق ذكره، ص68.

[19] - أيوب، الدور السياسي والاجتماعي للشيخ عبد الحق، مرجع سبق ذكره، ص160.

[20] - المرجع نفسه، ص161.

[21] - راشد، شعبان محمود. **القبائل العربية الليبية في السودان الأوسط ودورها في تاريخ المنطقة**، طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، د.ت، ص62.

[22] - القشاط، محمد سعيد. **أعلام من الصحراء**، ليبيا: مؤسسة ذي قار، ط2، 1999م، ص102.

[23] -Najm, F. ***Libyan Tribes in Diaspora***. Libyan Studies, 2003, p132.

[24] - القشاط، محمد سعيد. **أعلام من الصحراء**، مرجع سبق ذكره، ص62.

[25] - القشاط، محمد سعيد. **أعلام من الصحراء**، مرجع سبق ذكره، ص23.

[26] - Von Oppenheim, Rapport Nº 20, Le Caire, 5/7/1904, Consul, General, impérial, Allemand pour Leyte, p2.

[27] - Henri Parbou, ***La Région du Tchad et du Ouaddaï***, études ethnographiques, dialecte Toubou tome secono, éditeur paris, 1912. P.83.

[28] - النشار، مصطفى حسن. **فلسفة التاريخ معناها ونشأتها وأهم مذاهبها**، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2012م، ص168.

[29] - أبو السعد، عطيات. **فلسفة التاريخ عند فيكو**، الإسكندرية: دار

11. حلولو، الطيب إدريس. المقاومة الوطنية ضد الاحتلال الفرنسي في تشاد 1894-1920م، الجيزة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2021م.
12. راشد، شعبان محمود. القبائل العربية الليبية في السودان الأوسط ودورها في تاريخ المنطقة، طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، د،ت.
13. شاري، موسى حسن. مسرحية زمن الكبكب، (مخطوط) المركز الأفريقي للبحوث والدراسات، جامعة الملك فيصل بتشاد، 2002م.
14. صبحي، أحمد محمود. في فلسفة التاريخ، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ط1، 1975م.
15. طرخان، إبراهيم علي. إمبراطورية غانا الإسلامية، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ط1، 1975م.
16. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود. آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت: دار صادر، د،ت.
17. القشاط، محمد سعيد. أعلام من الصحراء، ليبيا: مؤسسة ذي قار، ط2، 1999م.
18. الماحي، عبد الرحمن عمر. تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال 1894-1960م، طرابلس-ليبيا: دار الأصالة والمعاصرة، ط2، 2009م.
19. النشار، مصطفى حسن. فلسفة التاريخ معناها ونشأتها وأهم مذاهبها، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2012م.

الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

1. أفريكا ترينذو، 2025م. أبواب الجدل السياسي. تاريخ الاسترجاع: 29-06-2025م. نشر بموقع: https://afrikatrends.com
2. بوابة النهضة للأمة التشادية، 2025. رابح فضل الله وعبد الرحمن قورانق. تاريخ الاسترجاع: 12-12-2024م. شوهد بموقع: https://www.youtube.com/watch?v=OoEdLRP6FJU

الترجمة:

1. لوبون، غوستاف. فلسفة التاريخ، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، 1954م.
2. هيغل، فريدريك. أصول فلسفة الحق، ترجمة وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط3، 2007م.
3. هيغل، فريدريك. محاضرات في فلسفة التاريخ، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، ج1، منشورات جمعية نشر مؤلفات هيغل، د.ت.

الكتب باللغات الأجنبية:

1. Arbab Djama Babikir, L'empire de Rabah Derry, paris, 1950.
2. Col: Largeau, La France devant le Ouaddaï Revu des Troupes coloniales, 1910.
3. colloque des Écrivains Tchadiens Travaux et Documents scientifiques, du Tchad Numéro spéciale, N'Djamena du 03 au 07 Décembre 2007.
4. colloque des Écrivains Tchadiens, anthologie la littérature Tchadienne, en langue arabe, texte réunis et présentés par: Abdoulaye Moustapha, préface de Ahmad Taboye, N'Djamena du 07 ou 11 décembre 2009.
5. Gouala Nanassoum, 300 Dates de l'histoire du Tchad, centre

المعارف، ط1، 1997م، ص202.

[30] - أمبيرش، مهدي مفتاح. **في إشكاليات المشروع والمشروع الإسلامي**، ج1، ليبيا-طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2010م، ص147.

[31] - صبحي، أحمد محمود. **في فلسفة التاريخ**، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، ط1، 1975م، ص184.

[32] - هيغل، فريدريك. **أصول فلسفة الحق**، ترجمة وتعليق: إمام عبد الفتاح إمام، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط3، 2007م، ص7.

[33] - أبو دبوس، رجب. **نحو تفسير اجتماعي للتاريخ**، ليبيا-طرابلس: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، د.ت، ص39.

[34] - هيغل، فريدريك. **محاضرات في فلسفة التاريخ**، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، ج1، منشورات جمعية نشر مؤلفات هيغل، د.ت،ص82.

[35] - Col: Largeau, ***La France devant le Ouaddaï Revu des Troupes coloniales***, 1910, pp. 118, 283.

[36] - لوبون، غوستاف. **فلسفة التاريخ**، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، 1954م، ص9.

[37] - حسين، طه. **فلسفة ابن خلدون الاجتماعية**، القاهرة: مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، ط1، 1925م، ص17.

[38] - ابن خلدون، عبد الرحمن. **المقدمة**، تحقيق: إيهاب محمد إبراهيم، مصر-القاهرة: مكتبة ابن سينا، م2009، ص183.

المراجع باللغة العربية:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، تحقيق: إيهاب محمد إبراهيم، مصر-القاهرة: مكتبة ابن سينا، 2009م.
2. أبو السعد، عطيات. فلسفة التاريخ عند فيكو، الإسكندرية: دار المعارف، ط1، 1997م.
3. أبو دبوس، رجب. نحو تفسير اجتماعي للتاريخ، ليبيا-طرابلس: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، د.ت.
4. أحمد، حامد عبد الله. الحضارة الإسلامية في مملكة وداي 1615-1909م، القاهرة-مصر: دار الفضيلة، ط1، 2016م.
5. الإصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري. المسالك والممالك، بيروت: دار صادر، 2004 م.
6. أمبيرش، مهدي مفتاح. في إشكاليات المشروع والمشروع الإسلامي، ج1، ليبيا-طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2010م.
7. أيوب، محمد صالح محمد. الدور السياسي والاجتماعي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وداي-شاد 1853-1917م، ليبيا-طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 2001م.
8. الترجمي، عبد الحق السنوسي. تبصرة الحيران من هول فتن الزمان، (مخطوط) تشاد-أنجمينا: المعهد الوطني للعلوم الإنسانية.
9. حسين، طه. فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، القاهرة: مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر، ط1، 1925م.
10. الحسيني، إبراهيم صالح. تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم-برنو، مصر: مكتبة الحلبي، ط1، 1976م.

cefod-Tchad, 1995.

6. Henri Parbou, La Région du Tchad et du Ouaddaï, études ethnographiques, dialecte Toubou tome secono, éditeur paris, 1912.

7. Von Oppenheim, Rapport No 20, Le Caire, 5/7/1904, Consul, General, impérial, Allemand pour Leyte.